مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا المجلد: 04 العدد: 02 سبتمبر 2021 ص ص: 168-183
ر ت م د ISSN: 2602-618X /ر ت م د إ E-ISSN: 2710-8031

اكتشاف أضرحة جنائزية جديدة بمنطقة زاوية ولاية تيسمسيلت

(دراسة ميدانية توثيقية)

new funerary monuments discovered in the Zawyah region of Tissemsilt (documentary field study).

لورثان بختي[1]♦، خاتمي مصطفى[2]

جامعة ابن خلدون - تيارت [1]lourtan@gmail.com

جامعة وهران 1 أحمد بن بلة [2] mustaphakhatemi@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2021/05/25 تاريخ القبول: 2021/07/21 تاريخ النشر: 2021/09/30

الملخص باللغة العربية: نُفذ مشروع زاوية الأثري لتقييم ودراسة الموقع الأثري المعروف بضريح سيدي إسماعيل منطقة زاوية بلدية تيسمسيلت، اعتمد المشروع أولا، على إجراء جولة ميدانية استطلاعية بعدة نقاط من الموقع لغرض التحقق من المراحل الزمنية التي شهدت نشاطا إنسانياً بالموقع ونوعية الأضرحة والغرض من إنشائها وعلاقة كله بالمحيط الأثري والجغرافي بالمنطقة، وثانياً عمل تنفيذ مسح أثري بالمناطق القريبة على مرتفع صخري يشغل قبور منقورة باتجاه الشرق.

يعد هذا الاكتشاف من الاكتشافات المهمة لمدينة تيسمسيلت إلى الفترة الرومانية المتأخرة ربما من القرن الخامس والسادس الميلاديين بسبب الشواهد والأدلة النّي ننج عنها معطيات جديدة لعل من أهمها معرفة السيرورة التاريخية لمنطقة الونشريس والتي عرفت مملكة مورية بشهادة أحد المؤرخين.

الكلمات المفتاحية: الأضرحة الجنائزية؛ الزاوية؛ القبور؛ الفخار؛ ماستينغاس.

Abstract: Zawiah archaeological survey was implemented to evaluate the archaeological site known as the (Sidi Ismail Mausoleum). First, the project relied on conducting an archaeological survey of several points to identify new funerary buildings , the quality of the shrines, the purpose of their establishment, and their relationship with the archaeological and geographical surroundings. Secondly, the work of carrying out an

archaeological survey in the nearby regions on a rocky elevation with evidences of graves facing the East.

This discovery of unknown graves is one of the important discoveries in the region dating back to late Roman period, perhaps from the fifth and sixth centuries AD.

Keywords: Funerary monuments; Zawiah; Graves; Pottery; Mastengas.

مقدمة: تزخر ولاية تيسمسيلت بالعديد من المواقع الأثرية التي تعود فترات مختلفة فمنها ما يعود إلى فترة ما قبل التاريخ كمنطقة عين الصفا و ورثان بثية الحد و بوخيران بسيدي بوتشنت و منها ما يعود إلى الفترة القديمة كموقع عين توكرية، أما حصن تازة شيد في فترة الأمير عبد القادر، لكن هناك مواقع كثيرة نجهل وجودها تماما لقلة المعطيات التاريخية حولها والتي نحن بصدد كشفها و توثيقيها ووصفها بغية التعريف بها على المستوى المحلي والوطني وهي مواقع لم يسبق الإشارة إليها من قبل الباحثين الفرنسيين وحتى الباحثين الجزائريين باستثناء اجتهادات الباحثين الحاج لبيب و دحدوح عبد القادر في جردهما للمواقع الأثرية الخاصة بولاية تيسمسيلت ،ولعّل أهمها على الإطلاق المواقع الأثرية بزاوية سيدي إسماعيل.

وعليه،ـ فإن التساؤل الرئيسي الذي يبقى مطروحاً هنا ، يكمن في محاولة المعرفة التاريخية لتلك المعالم الجنائزية ؟ وفيما تؤرخ ؟ وإلى من تعود نسبها ؟

أهمية البحث : تظهر أهمية هذه الدراسة كونها دراسة جديدة لم يسبق التطرق إليها سابقا باستثناء اجتهادات الأثري الجاد لبيب الحاج في دراسته التقنية للضريح (أ)، وجاءت دراستنا لكي تُسهم أيضا في كشف اللثام عن صورة المعالم الجنائزية وتقنية عمارتها المتميّزة وواقعها التاريخي من خلال إبراز بعض مقتنياتها الأثرية التي اكتشفت بجوار الأضرحة الجنائزية.

الدراسات السابقة : بعد التحري مطولا لم نجد دراسات سابقة متعلقة بموضوعنا سوى عملية جرد للمواقع الأثرية التي اجتهد عليها الدكتور الحاج لبيب من جامعة تيارت ، ويرجع ندرة دراسات حول هذه المعالم لعدة صعوبات منها العامل الجغرافي الصعب للمنطقة ، وبالخصوص البشري الذي لم يصرح عنها إلا مؤخرا.

منهجية البحث : تنوع منهجي في بحث هذا الموضوع حسب حاجة كل عنصر، ففي العنصر الأول المتعلق بدراسة الميدانية ، استعملنا المنهج الوصفي ، لرصد أنواع

وأنماط تلك المعالم الجنائزية ومعاينة بقاياها، أما في العنصر الثاني الخاص بقراءة تاريخية لتلك المعالم الجنائزية استعملنا المنهج الاستقرائي من أجل إعطاء بعد زمني وخلق فرضيات مختصرة عن ملمح الأضرحة من خلال المصادر الأدبية.

وفي الختام انتظم هذا البحث في المقدمة وأربعة عناصر وخاتمة وهو على النحو الآتي :

1- الموقع الجغرافي للمعالم الزاوية الجنائزية :

تقع منطقة الزاوية على بعد 10كلم من ولاية تسمسيلت في الطريق الوطني رقم 19 الرابط بين ولاية تيسمسيلت و دائرة لرجام في الجهة الجنوبية الغربية وهي منطقة أثرية جد هامة تعتبر الأكبر في الولاية لأنها تغطي مساحة معتبرة وهي موزعة على أربعة مناطق (أنظر الشكل رقم 01)

2- دراسة كشفية لمعالم الأضرحة بمنطقة الزاوية :

من أجل تتبع هذه الدراسة لا بد من تقديم عرض بطاقة تقنية للمناطق الآثرية المراد دراستها :

1.2- المنطقة الأولى :

تحتوي المنطقة الأولى على أضرحة جنائزية عددها اثنين ، واحد بمقبرة سيدي إسماعيل مباشرة والثاني على بعد 20 م من الضريح الأول في الجهة الشرقية الغربية بملكية خاصة (ملكية وعزان) ملحقة بإشارات دالة عليها نحتت في صخرة كبيرة في الجهة الجنوبية للضريحين "أ" و"ب " (أنظر الشكلين 03، 02) .

- الضريح "أ" :

يظهر على شكل هرم مدرج ذو قاعدة مربعة الشكل يبلغ طول أضلاعه 6 م × 6 م ويبلغ ارتفاعه 1.50م بنية جدرانه من الحجارة الرملية على شكل مداميك مستطيلة الشكل يبلغ عرضها 40 سم وطولها من 80 سم الى 1 م ، في حالة جيدة طمرت بعض جدرانه في الجهة الغربية و الشمالية في التراب يحتوي على مدخل في الجهة الجنوبية على غير العادة أين تكون الأضرحة مفتوحة من جهة الشرق ربما يكون مدخل تمويهي فقط ، كما يلاحظ على الموقع انهيار بعض أجزائه المعمارية ، يعتبر هذا الضريح الوحيد في شمال إفريقيا

الذي يأخذ الشكل الهرمي المدرج أما المواد المشكل له كلها مستخرجة من الموقع الذي يحتوي على مقلع للحجارة الرملية (أنظر الشكلين رقم 04 ورقم 05).

- الضريح "ب" :

يشبه الضريح الأول وله نفس الخصائص إلا أنه تعرض للتخريب كما نجد بقرب هذا الضريح أعمدة حجرية ، لم نستطع المعاينة لأنه يقع في ملكية خاصة ولم يسمح لنا بالقيام بعـــملنا (انظر الشكل رقم 06) .

- الضريح "ج" :

يبعد عن الضريحين بمسافة 01 كلم في الجهة الجنوبية الغربية ذو قاعدة مربعة الشكل طول أضلاعه 10×10 م يصعب تحديد شكله لأنه تعرض للتخريب و التدمير مما غير في شكل ملامحه أما خصائصه المعمارية تشبه الضريح " أ"(انظر الشكل رقم 07) .

تنبيه : ما يلاحظ على هذه الأضرحة أنها خالية من الرموز و الإشارات والكتابات بالإضافة إلى انعدام المداخل باستثناء الضريح" أ" الذي يرجح أن مدخله في الجهة الجنوبية ، بالإضافة إلى وجود حوض في الضريح "ج ".

2.2- المنطقة الثانية :

في الجهة الغربية الشمالية للضريح "ج " على منحدر صخري الذي يمتد على مساقة 01 كلم من الغرب الي الشمال توجد قبور شمسية رومانية منحوتة في الصخر عددها أكثر من 26 قبر موزعة على خمسة مجموعات بالإضافة إلى وجود حوض مربع الشكل طوله 50×50 سم ، كما نعثر في أسفل المنحدر على صخرة كبيرة منحوتة ربما كانت تستخدم لطقوس جنائزية أو لتقديم القرابين (انظر ألبوم الأشكال رقم 08 ، 09، 10 ، 11 ، 12).

3.2- المنطقة الثالثة :

خربة الزاوية في هذه المنطقة لا نجد أثار ظاهرة إلى أنّ تسميتها توحي بأنها كانت آهلة بسكان ، لكن لأسف تعرضت لاندثار ، وحسب سكان المنطقة وبعض الأدلة الفخارية التي عثرنا عليها أثناء المعاينة الميدانية تؤكد وجود موقع أثري ، ربما يعود للفترة الرومانية أو الفترة الإسلامية.

3- محاولة تأريخ لأضرحة الزاوية:

1.3- من حيث العملة:

تعدّ العملات من أكثر المقتنيات الأثرية المساعدة لمعرفة البعد الزمني ، وعليه أحضر لنا أحد الأصدقاء قطعة عملة عثر عليها قرب الضريح (أ) (أنظر الشكل رقم 13) وبالفعل سلمها لنا وبعد تنظيفها بوسائل بدائية غير ضارة اتضح أنّ حالتها جيدة وأمكننا معرفة تاريخها ومعلومات عنها على النحو الأتي :

عملة برونزية من فئة سستيرتيوس (Sestertius) التي تعني 2.5 وزن الآس، وهي غير منتظمة الشكل فهي تبدو في عمومها مستديرة لكن استيدارتها منقوصة في بعض الجوانب ، لذا فإنّ قطرها غير منتظم ويتراوح مابين 2.6 — 2.8 سم وسمكها 3.8 ملم، ووزنها 14.71 جرام.

أ - الوصف :

- وجه العملة:

يتوسط وجه العملة صورة نصفية جانبية للإمبراطور جاليريوس فاليريوس متجها نحو اليمين، مرتديا اكليلا من الغار مربوطا خلف رأسه أو رقبته، شعره قصير وللإمبراطور لحية، وشارب خفيف وملامحه تعبر على أنها كهل ويبدو هنا قد صوّر قبل اعتلاءه للعرش في عمر 50 ، ويظهر الإمبراطور مرتدياً الزي الإمبراطوري العسكري المتمثل في درع تعلوه العباءة المسماة بالوداميتوم (Paludamentum) ، أما الكتابة اللاتنية التي توجد على هامش الوجه عادة تتكون من اسم الإمبراطور وألقابه بشكل مختصر GAL VAL MAX) (NOB C حيث تبدأ باسم الإمبراطور جاليريوس فاليريوس ماكسيمينيانوس وكانت هذه الأسماء منفصلة عن بعضها البعض يليه اللقب NOB الذي يعني بالنبيل ويظهر ضمن الألقاب الأباطرة القرن الثالث، يليها حرف C اختصارا للقب (CAESAR) أي القيصر وهو لقب اتخذه الأباطرة منذ حكم يوليوس قيصر (49 ق.م- 44 ق.م) وأوكتافيوس أغسطس قيصر (27 ق.م-14م)، وبعدها اصبح ضمن القاب جميع الاباطرة، وفي الختام فإن العبارة التي ظهرت بشكل مختصر على هامش الوجه هي في الأصل هكذا (GAL(erius) VAL(erius) NOB(ilissimus) C(aesar).

- ظهر العملة:

يتوسط ظهر العملة داخل الغار ثلاث عبارات أولها كلمة VOT والتي تعني النذر يليها رقم عشرة X الروماني إضافة إلى عبارة (FI) والتي تشير إلى معنى تثبيت، فتكون العبارة الكاملة كالأتي (VOT(is)X(decennalibus)FI(cit) أي جاء هذا النذر من سنة العاشرة من حكم هذا القيصر.

ب- تاريخ العملة:

ترجع هذه العملة إلى الإمبراطور جاليريوس فاليريوس ماكسيمينياوس (Galerius Valerius Maximinius) الذي حكم روما بين 305 م — 311 م) عرف بألقاب كثيرة منها قاهر الجرمان (Germanicus) وقاهر الفرس (Parthicus) وكان مخلصا للإمبراطور الذي سبقه ديوكليتيانوس ، إلا أنه لم يكن مؤثرا في حكمه للإمبراطورية، عرف عنه بإصدار أربعة مراسيم لإضطهاد المسيحية ، كون الإمبراطور جاليريوس كان وثنيا متعصبا

ويرى الباحث هنري كوهين (Cohen.H) على أنّ الإمبراطور جاليريوس فاليريوس ماكسيمينياوس له ثلاثة إصدارات للعملة كانت أخرها ما بين 310 م سكّت في مدينة روما[1].

نعتقد أنَّ عُملتنا هذه قد تكون من نوع الأخير من تلك الإصدارات والتي صورته على أساس في عمر نهاية الكهولة بلحية مزغبة وافرة في الذقن، ويبدو أنّ الذين رسموا صورة الإمبراطور تخيلوا وجود هذه اللحية بحكم سن الإمبراطور أنذاك في أوائل ستين من عمره.

وليس من المستبعد، أنَّ هذا الإصدار الذي ننشره هنا لا يبدوا أن سبق مثال شبيه مقارنة بالأمثلة المنشورة من عملة جاليريوس فاليريوس ماكسيمينيانوس

- من حيث الفخار:

تمّ العثور بجوار الضريح (ج) على مجموعة من الكسر والأجزاء المختلفة الأحجام والأشكال لصحون وجرار صغيرة وقواعد وحواف أواني استعملت لأغراض مختلفة منها لحفظ ونقل السوائل مثل زيت الزيتون بغية تأدية طقوس جنائزية، ورغم عدم تجانس الكسور فيما بينها من حيث الأساليب الزخرفية، مثل استعمال الخطوط الملونة بالأبيض وأحيانا بالأخضر، والتي استمرت إلى مابعد الفتوحات الإسلامية

ومن النتائج الأولية أن تلك الكسور الفخارية مشابهة تماما للجرات الفخارية المشابهة لها في مدينة قيصرية ومما يدعم الفكرة أنّ الجرار قيصرية كان لا يزال معمولا بها في القرنين الرابع والخامس

1 Cohen (H.), Description historique des monnaies frappées sous l'empire Roman, vol.5, Paris,1885,p.68.

إذا نخلص أنَّ الفخاريات أداة جد مهمة من ناحية تأريخ للأضرحة الجنائزية مراد دراستها.

4 - الخلفية التاريخية للمعالم الجنائزية بمنطقة الزاوية:

من خلال مطابقة النصوص الأدبية على الخريطة العمرانية للأضرحة ، قد نتساءل عن واقعية تاريخية لتلك الأضرحة وعلى من تعود وما هو تاريخ نشأتها ؟، وهو إشكال الذي جعلنا نجعل نسبها في بداية الأمر،رغم وجود صعوبات إلا وأنّنا استطعنا تقريب إمكانية نسب تلك المعالم لسلالة مورية عاشت بمنطقة تيسمسيلت،و التي قامت على كثير من شواهد الليمس مما سمح بقيام كيانات سياسية فرضت تواجدها مع الرومان خاصة بعد تقهقرهم في المنطقة .

ومع الفترة الوندالية بسطت الكيانات المورية نفوذها على معظم أراضي موريطانيا القيصرية وارتكزت في إقليم الونشريس ، وقد أورد بركوب شخصية في صيغتين مختلفتين، حيث تحدث عن الأمير ماستيناس (Mastias) باعتباره أميرا لبرابرة موريطانيا[2]، كما ذكره في فقرة أخرى على شاكلة أمير ماستينغاس (Mastingas) في حدود سنة 535م بأنه يبسط نفوذه على كامل موريطانيا القيصرية ، ما عدا مدينة شرشال (Caesariae) والتي كانت تدفع له الضرائب[3]، يبدو لنا أنّ هذا النفوذ كان يمتد إلى غاية السواحل، لكن كورتو (Courtois) قلّل من شأن هذا الملك واتساع مملكته وإذ افترض أنها اقتصرت على البلاد المحيطة مابين إقليم سرسو وجبال الونشريس[4]، والمتابع جغرافيا لهذه المنطقة يجد اشكالا عن جهلنا أثرياً بتواجد هذه المملكة ، فقد تكون معالم زاوية إجابة عنها ؟، برغم من إجابات كاركوبينيو (Carcopino) الذي يرى أن ملك ماستينغاس كان يدير مملكة من واد شلف إلى غاية واد ملوية[5]، لكن هل من الطبيعي أن لا نجد أثرا ماديا يؤكد لنا صحة هذا المصدر الأدبي ؟ وهل يمكن أن تكون هذه المعالم الجنائزية لها علاقة بمملكة ماستينغاس الموري، ولماذا لا تكون لها علاقة بمملكة ماسونا الذي كان يمارس نفوذه من أولاد ميمون حسب شهادته أساسية في حجر تذكاري* المؤرخ

---

[2] Procope, La Guerre contre les Vandales (Brllum Vandalorum) II.13, T.D.Roques, Belles Lettres,1990.

[3] Ibid, II.20.21.

[4] Courtois (C.), Les Vandales et l'Afrique,Paris,1955,p.335.

[5] Carcopino, Un Empereure Maure Inconnu d'apres une inscription Latine récemment découverte dans L'Aures, R.E.A.p35.

* النص :

ل508 م[6]، و ربما قد وصل نفوذه نسبياً على معالم الزاوية كم افترض على أضرحة لجدار أيضاً

لا ندري بعد استعراضنا لهذه المنشآت الجنائزية إن كانت لها علاقات بالكيانات السياسية التي تحدثنا عنها، لأن مشكلة تأريخه تبقى نسبية خاصة وأن أغلبها قد أندثر، لكن قد نعتبر أن كثرة القبور المنقورة في المنحدر الصخري حتماً تؤكد لنا بوجود استيطان بشري وسلطة مركزية قوية أمكنت فرض النظام على السكان خارج الليمس الكوليمناطي المعروف.

وعليه من خلال عملية تأريخ لقطع الفخار و العملة التي عثر عليها في الضريح (أ) فإننا قد نجد توافقا زمنياً مع نص بركوب المبهم من ناحية الجزئية الجغرافية والمعلوم من ناحية الكلية (الإقليم موريطانيا) القيصرية ونحاول أن نلحقها بتاريخ الممالك المورية كون هذه المعالم ليست يتيمة أو منعزلة كما يمكن أن نتصور، بل يمكن أن نوظفها إلى جانب الخريطة الأثرية وعراقة سياسية التي تميّز بها المور من القرن الخامس الميلادي إلى غاية فترة الفتوحات الإسلامية

الخاتمة :

ومن خلال العرض السابق يتضح قيمة هذا الأثر المعماري الجنائزي ،والذي يعد اكتشاف جديد لم يسبق التطرق إليه من طرف الباحثين بالتفصيل.

Prosal (ute) et incol (umitate) , Reg(is) Masunae gent (ium)/Maur(orum) et Romanor(um).(/pref(ecto) de safar, Iider , proc(urator) ca(stra)Castrum edific(atum) a Masgivini severiana quem/Masuna Altava posuit et Maximus proc(urator) Alt(avae(/pref(ecti), (anno)p(rovinciarum) CCCCLVIII.

ويترجم كالأتي :

من أجل صحة ودوام ماسونا ملك المور والرومان / شُيدت هذه القلعة على يد مسيغيا حاكم سفار / عندما كان إيدير و كيلا على قلعة سفريانا / وهما اللذان أمر ماسونا إلزامهما إلى ألتافا / وقد أتم مكسيموس حاكم وكيل على ألتافا في سنة 496 بتأريخ هذه المقاطعة.

[6] Jaubert (J.M), les Inscriptions, d'Altava, Aix en provence, 1968, pp 126-127 N° 194

وعليه ، تبيّن لنا من خلال هذه الدراسة أنَّ تلك المدافن شُيدت لمختلف الملوك لا نزال نجهل أصحابها حتما، لكن هناك مؤشرات تدل على نسبها الموري وأنها شيدت في الفترة التي عرفت فيها المنطقة كيانات مورية مثلما هو معروف بمعالم مدغوسة (الأجدار) بتيارت حيث يوجد تشابه مع أضرحة زاوية من خلال تقنية البناء ونمط المعماري.

ومن أجل الحفاظ على تلك المعالم الجنائزية، يتوجب علينا استغلالها حمايتها، كون إهمالها يؤدي إلى تلفها مرة أخرى وعليه يجب اتخاذ جملة من التوصيات والإجراءات المتمثلة فيما يلي:

- العمل على أعطاء تاريخ دقيق للموقع

- العمل مع السلطات المحلية على تسجيل الموقع في قائمة الجرد الإضافي وبالتالي تصنيف الموقع في أقرب وقت حسب قانون 89 /04 الخاص بحماية المواقع الأثرية الغير مصنفة .

- العمل على حماية الموقع من الحفريات العشوائية

- إعادة تشكيل الخارطة الأثرية لولاية تيسمسيلت

- إضافة إلى الأضرحة الجنائزية الموجودة في تيسمسيلت ويصبح عددها الاجمالي ستة أضرحة على المستوى الولاية .

- برمجت حفريات أثرية في المستقبل

- صيانة وترميم الموقع وإعادة تهيئته

- تعيين حارس في أقرب وقت ممكن .

- تسيير أمثل للبقايا الأثرية المنقولة.

الأشكال (من عمل الباحثين):

الشكل رقم (01): تقنية ساتل تبيّن كل المواقع الأثرية بمنطقة الزاوية ولاية تيسمسيلت.

الشكل رقم (02) : الإشارات الدالة على وجود الأضرحة المرتفعة.

الشكل رقم (03) : منظر عام للصخرة الإشارات.

الشكل رقم (04) : منظر عام للضريح " أ "

الشكل (05) : يبيّن مخطط لضريح الجنائزي بالزاوية سيدي اسماعيل

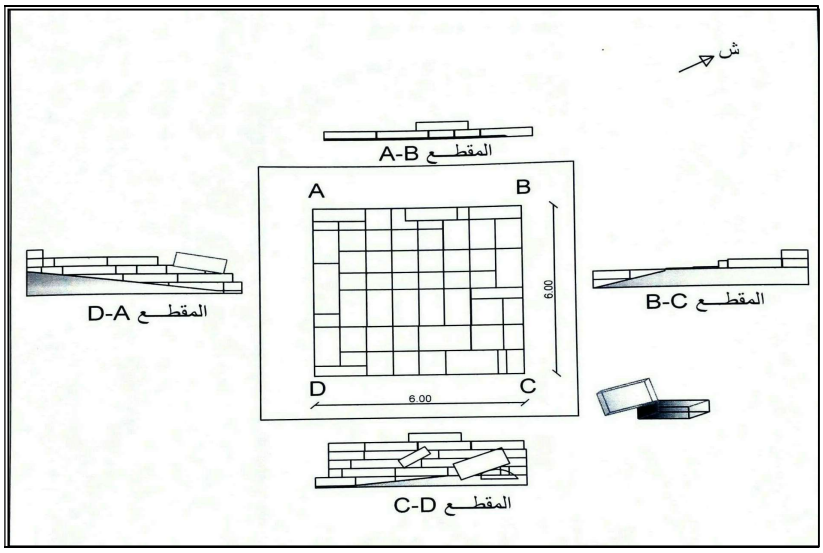

الشكل رقم (06) : منظر عام للضريح "ب"

الشكل رقم (07) : منظر عام للضريح "ج"

الشكل رقم (08): الخاص بالقبور الشمسية الرومانية

الشكل رقم (09) : حوض مربع الشكل يتوسط القبور

الشكل رقم (10) : تبين النصب الجنائزي الخاص بتقديم القرابين

الشكل رقم (11): عينات الفخار الملتقط من خربة الزاوية

الشكل رقم (12) : منظر عام لخربة الزاوية

الشكل (13) قطعة عملة التي عثر عليها قرب الضريح زاوية (أ)

قائمة المراجع:

1. Cohen (H.), Description historique des monnaies frappées sous l'empire Roman, vol.5, Paris,1885.
2. Procope (5eme siécle) , La Guerre contre les Vandales (Brllum Vandalorum) II, T.D.Roques, Belles Lettres,1990.
3. Courtois (C.), Les Vandales et l'Afrique,Paris,1955.
4. Carcopino, Un Empereure Maure Inconnu d'apres une inscription Latine récemment découverte dans L'Aures, R.E.A,1991.
5. Jaubert (J.M), les Inscriptions, d'Altava, Aix en provence, 1968.